

سلسلة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

13

القصة الثالثة عشر

معركة بدر



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب الثالث عشر

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) : 978-962-4-39960-9

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة : يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية : فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

معركة بدر

منهاج العالمية
تأليف
لينا الكيلاني
International Curricula

معركة بدر

هَبَّت نسمة خانقة حركت الرمال، ومرت دوامات صغيرة من الغبار بين رجال القافلة. كان الجو حاراً، وكان الرجال منهكين من رحلتهم الطويلة إلى الشام. كانوا متशوقين للعودة إلى مكة، وأشد شوقاً لغادر هذه المنطقة من الصحراء. ظلوا ينظرون بقلق خلفهم، ويرمقون الكثبان المحيطة بعينٍ مرتابة، متسائلين عما تخفيه هذه التلال الصامتة.

ولهم الحق في القلق، فالقافلة كانت محملة بالثروات، وكانت طرق التجارة آنذاك عرضة لهجمات اللصوص. كان لا بد لهم من الوصول إلى مكة وسرعة! لكن في ذلك اليوم، لم تكن الرمال الجافة تخفي لصوصاً. بل في بعيد، كانت هناك عينان تراقبان القافلة الشمينة المتوجهة إلى مكة. ثم انسحب الرجالان بهدوء إلى المدينة المنورة، لقد كانوا من كشافة الرسول ﷺ، ومعهما بشري سارة.



القافلة قادمة

أفاد الكشافان أن القافلة العائدة من الشام محمّلة بثروة تقدر بخمسين ألف دينار ذهبي، ولا يحرسها سوى أربعين رجلاً. سرّ هذا الخبر الرسول ﷺ، إذ يمكن أن يعوض المسلمين عن الثروات التي فقدوها حينما أخرجوا من مكة. لذلك، حثّ المسلمين على اعتراض القافلة، لكنه لم يأمر الجميع بالمشاركة، لأن المهمة كانت تبدو صغيرة. انطلق جيش المسلمين المتواضع من المدينة المنورة مكوّناً من ٣٤ رجلاً، نصفهم من الأنصار، والنصف الآخر من المهاجرين. لم يكن الجيش مجهزاً تجهيزاً جيداً، فكان لديهم فقط فرسان، وكان عليهم التناوب على ركوب سبعين جملًا، حتى الرسول ﷺ شارك الركوب مع بعض الصحابة. ورغم بساطتهم، مضوا في الصحراء بشجاعة تحت رايات ترفرف في الرياح الحارقة. قاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه المهاجرين، وسعد بن معاذ رضي الله عنه الأنصار، وكان الرسول ﷺ هو القائد العام، فسار بهم على طريق مكة، ثم انعطفوا نحو منطقة بدر بنية اعتراض قافلة قريش محمّلة بالثروات.



المسلمون يقتربون

حين تقدم الجيش الصغير نحو القافلة، كان أبو سفيان، رئيس القافلة، يشعر بالقلق. فأرسل رجلان لتقصي تحركات المسلمين، وعندما بلغاه بوجود كمين، تصرف بسرعة، وأرسل دمدم بن عمرو الغفاري إلى مكة يطلب المساعدة. وقد لقنه كيف يخيف قريش كي يهبو لنجدته.

وصل دمدم مكة يصرخ: «يا قريش! يا قريش!» ثم نزل بشكل درامي من على ناقته أمام الكعبة، وقطع أذنها وأنفها، ومرّق ثوبه من الأمام والخلف، وصرخ: «بضاعتكم مع أبي سفيان، و Mohammad ﷺ وأصحابه في انتظارهم ولا أستطيع أن أقول ماذا سيحدث للقافلة. النجدة! النجدة!» ارتعب أهل قريش بما سمعوه ورأوه من دمدم وعمت مكة حالة من الخوف والغضب، وسارع أغلب رجالها إلى الخروج للحرب، إذ إن كثيراً منهم كانوا قد استثمروا في تلك القافلة، ولن يتقبلوا خسارتها. لقد دقت الحرب أجراسها!

خروج قريش إلى بدر

خرج معظم رجال مكة إلى الشمال بجيش قوامه ١٣٠٠ مقاتل، مسلحين ومتشوقيين للقتال. أما أبو سفيان، فقد تمكّن من تجنّب الكمين وسلك طريقاً آخر نحو مكة. وعندما أرسل يخبر جيش مكة بأن القافلة صارت في أمان، أراد البعض العودة، لكن أبا جهل رفض بشدة.

قال أبو جهل أمام زعماء قريش: «لن نعود حتى نصل إلى بدر، وسنقيم هناك ثلاثة أيام نذبح فيها الذبائح، ونأكل ونشرب الخمر ونلهمو، حتى يسمع العرب بنا ويهابوننا».

ومع ذلك، انسحب بنو زهرة من الجيش، ليبقى ١٠٠٠ مقاتل فقط يتوجهون نحو بدر وينحِّمون خلف كثبان الرمال.



عندما علم النبي ﷺ أنه لا يمكن تجنب المواجهة، شعر بقلق شديد، فقد كان يخشى أن تغزو قريش المدينة المنورة، مركز الدولة الإسلامية الناشئة. فجمع الصحابة وأخبرهم بالمستجدات. شعر بعضهم بالارتباك، لأنهم لم يتوقعوا حرباً كاملة، ولكن المهاجرين والأنصار أكّدوا ولاءهم للنبي ﷺ واستعدادهم للقتال. وقف سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال: «يا نبي الله! لقد بايعناك على الطاعة والتضحية. فوالله، لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد».

تأثير النبي ﷺ بهذه الكلمات الصادقة، وأمر بالتحرك نحو المعركة في اليوم التالي.

ليلة المعركة

في تلك الليلة، بادر الرسول ﷺ بإرسال علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام رضي الله عنهم جميعاً لتقديم المعلومات عن قريش. فوجدوا رجلين مع بعض الجمال وقرب ماء، وادعيا أنها القرىش، فكذبواهما وضربوهما، لكن الرسول ﷺ لم يرضه ذلك، فاستجوباهما بلطف، واعترفا بأن قريشاً وراء كثيب الرمل، وأنهم يذبحون ٩ إلى ١٠ جمال يومياً. ومن ذلك استنتج قائد المسلمين الحكيم النبي محمد ﷺ أن عدد أفراد جيش قريش يقارب الألف رجل.

وفي تلك الليلة، هطل المطر على جانبي الكثبان الرملية، فكان رحمة لل المسلمين، وثبت أقدامهم، وغسل عنهم التردد، وجعلهم مستعدين للمهمة القادمة بينما كان عائقاً لجيش قريش.

وفي اليوم التالي تقدم المسلمون حتى وصلوا بئر بدر حيث اقترح الحباب بن المنذر رضي الله عنه خطة بارعة وهي أن يعسكر المسلمون عند أقرب بئر، ويجهزوا حوضاً للشرب، ثم يغلقوا الآبار الأخرى، لحرمان العدو من الماء. فأعجب

الرسول ﷺ بالخطة، ونفذ المسلمون الخطة الذكية بهدوء في سرية الليل.

قضى النبي ﷺ الليل في الدعاء، بينما نام المسلمون نوماً هادئاً أرسله الله إليهم، كما ورد في قوله تعالى: «إِذْ يُعَشِّيْكُمُ الْنَّعَاسَ أَمَّةَ مِنْهُ» [الأنفال: ١١].

بداية معركة بدر

مع أول خيوط الفجر البيضاء في صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان، السنة الثانية للهجرة، قام المسلمون للصلاة وخطب النبي ﷺ في أصحابه، وشجّعهم على القتال في سبيل الله. وأوصى أصحابه ألا يؤذوا بني هاشم، فقد كانوا قد ناصروه في مكة. وخصّ منهم عمّه العباس وأبا حذيفة، إذ لم يشاركا في إيذائه من قبل، بل أجبروا على القتال مع قريش فأذن لهم بأسرهم دون قتلهم.



ثم نظم الرسول ﷺ جيشه باهتمام، وتقدمت الجيوش، وبدأت معركة بدر، التي سُتُخلد في التاريخ الإسلامي كنصر من الله للمؤمنين، ورد على كبراء قريش وتكذيبهم لرسول الله ﷺ.

وعندما أشرقت الشمس فوق الكثبان الندية، أشار النبي ﷺ بسهم لترتيب صفوف المسلمين للمعركة، وفي المقابل، كانت قريش تستعد للاشتباك المحتوم تقدمت الجيوش حتى أصبحت في مواجهة مباشرة، وعلى جانب المسلمين، وقف جيش متواضع مسلح بالإيمان وداعاء النبي ﷺ، يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ جَاءُوكَمْ مُتَكَبِّرِينَ مُتَجْبِرِينَ، يَكْذِبُونَ رَسُولَكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْتَظِرُ وَعْدَكَ بِالنَّصْرِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ». «

أما قريش، فكانت تنتظر أمر الهجوم بثقة وغرور، معتقدين أن النصر حليفهم لوفرة عددهم وسلاحهم. ودعا أبو جهل قائلاً: «اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحْمَنِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَهْلِكْهُ».

تقدم أحد مشركي مكة متحدياً المسلمين بأن يشرب من البئر أو يُقتل في المحاولة، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، واشتبك معه، وما هي إلا ضربتان حتى صرעה.

ثم توالت المبارزات، وسقط فيها الكثير من صناديد قريش، مما دفعهم للانقضاض على المسلمين بغضب عارم. واندلعت المعركة!

انطلقت السهام في الهواء، وتلألأ السيف تحت الشمس، ثم هوت على الأجساد. كانت حرباً فريدة، قاتل فيها الأب ابنه، والأخ أخيه، لكن الإيمان تجاوز الروابط الدينية.

خلال المعركة، رفع الرسول ﷺ يديه بالدعاء مراراً، واثقاً بنصر الله لعباده، فجاءه الجواب من السماء: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال : ٩].

قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على فرسه في وسط العاصفة الرملية».

ثم رمى النبي ﷺ بعض الحصى نحو المشركين وقال: «شاهدت الوجوه!». اندلعت عاصفة رملية هوجاء، أرسلها الله على قريش، فأعممت أبصارهم. في المقابل، قاتل المسلمون بقوة، وقد ملأت أصوات قائدتهم آذانهم، وأمل الشهادة قلوبهم، فسحقت قريش تحت سيف الحق. فانهار جيشهم، وقدفوا بأسلحتهم، وهربوا.

وقف أبو جهل وحيداً على فرسه، يحاول أن يعيده رجاله، لكن بلا جدو. فهب إليه غلامان مسلمان من الأنصار وشققا طريقهما إليه بالسيف فقتلاه. وبعد أن هدأت سحابة الغبار، بدت ساحة المعركة مليئة بجثث قريش. قُتل منهم سبعون، ولم يُستشهد من المسلمين إلا أربعة عشر. لقد انتصر المسلمون بفضل الله!.

بعد المعركة

أمر الرسول ﷺ بburial of the martyrs، ثم سُأله عن أبي جهل. فوجده عبد الله بن مسعود حيا يتلوى، ودار بينهما حوار، ثم أجهز عليه عبد الله رضي الله عنه، فقال عنه النبي ﷺ: «هذا فرعون هذه الأمة».

أخبار المزيمة تصدم مكة

Herb المنهزمون من قريش إلى الجبال حول مكة، خجلاً من العودة. وعندما وصلهم خبر المزيمة، صدم أهل مكة. لم يصدقوا أن جيشهم الهائل هُزم على يد جيش صغير. لكن سرعان ما تبيّن أن زعماءهم قد ماتوا، وأن هناك أسرى كثيرين.

غضب أبو هب، الذي لم يشارك في القتال، واعتدى على أبي رافع المسلم، لكن أم الفضل دافعت عنه، وضربت أبا هب بخشبة على رأسه، فانتفخ جرحه ومات بعد سبعة أيام. ومع ذلك، أمرت قريش بعدم إظهار الحزن، كي لا يشعر المسلمون بانتصارهم، فانكفأوا يبكون في بيوتهم بصمت.



الفرح في المدينة

بعد النصر المبين الذي مَن به الله على المسلمين أرسل النبي ﷺ رجلين ليبلغوا أهل المدينة بالخبر السار، كان أهل المدينة ينتظرون بقلق الأخبار القادمة من أرض المعركة فاستقبلهم المسلمون بفرح عارم، وحمدوا الله على النصر، إذ نصرهم رغم قلة عددهم وضعف عدّتهم.



مغادرة أرض المعركة

عندما تشاور المسلمون عن أمر الغنائم، انتظر النبي ﷺ الوحي، فنزل قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأَنْفَال : ١].

فأخذ رسول الله ﷺ الخمس، وزع الباقى بين الجنود بالتساوي.

دخل المسلمون المدينة منتصرين، والناس يقبلون على الإسلام، غير أن فرحة النبي ﷺ لم تكتمل خبر وفاة ابنته رقية رضي الله عنها.



معاملة الأسرى

اهتم النبي ﷺ بـالأسرى، وبعدهم فُدي بـالمال، والبعض الآخر أطلق بـشرط تعليم أبناء المدينة القراءة والكتابة. وعندما جاءت زينب رضي الله عنها، ابنة النبي ﷺ، بفداء لـزوجها، وهو قلادة والدتها خديجة، تأثر النبي ﷺ بشدة، وأطلق سراح زوجها بـشرط أن يسمح لـزينب باـالهجرة إلى المدينة.



وأوصى النبي ﷺ بمعاملة الأسرى بإحسان، حتى إن بعض المسلمين قدّموا لهم ما يملكون من الخبز والتمر. فأسرت أخلاق المسلمين قلوب كثير من الأسرى ودخلوا في الإسلام.

وبفضل الله، جاء عيد الفطر عقب هذا النصر، ففرح المسلمون ونشروا التكبير والتهليل في أرجاء المدينة المنورة!.



وَتَعَالَى
سُبْحَانَهُ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ
عَبْدَهُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

بلغ المسلمين في المدينة المنورة خبر قافلة غنية قادمة من الشام في طريقها إلى مكة. كانت هذه فرصة للمسلمين لاستعادة ما سلبته قريش من أموالهم. فانطلق رسول الله ﷺ مع جيش صغير من الرجال غير المجهزين جيداً لاعتراض القافلة عند بدر.

قام أبو سفيان بتنبيه قريش إلى خطة المسلمين للسيطرة على القافلة، فانطلقت قريش من مكة ومعها أكثر من ألف مقاتل مدججين بالسلاح. وتمكن أبو سفيان من تفادي الهجوم بأخذ طريق بديل إلى مكة، وأبلغ أهل مكة بأن القافلة أصبحت في مأمن.

ومع ذلك، أصر أبو جهل على أن يتجه الجيش إلى بدر. شعر رسول الله ﷺ بقلق بالغ من جيش أبي جهل الذي خيم في بدر، إذ خشي أن يهاجم المدينة المنورة، فقرر مواجهة العدو عند بدر.

بعد عدة مبارزات بين المؤمنين ومحاربي قريش، اندلعت معركة ضارية أسفرت عن نصر المؤمنين وهزيمة قريش وكسر هيبتهم.

